

يؤتى الحكمة من بقاء ومن يوت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المشكاة
١٣١٥

الله وأولئك هم أولو الألباب
فيؤمنون أحسنه أولئك الذين هداهم
فبشر عبادي الذين يستمعون القول

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الأربعاء ٢١ رجب سنة ١٣١٨ - ١٤ نوفمبر (٢٢) سنة ١٩٠٠)

الحكومة الاستبدادية

« تمة مقالة السيد جمال الدين الافغانى تغمده الله برحمته »

(القسم الثالث) الحكومة الرجعية وهى تنقسم الى قسمين القسم
الاول منها الحكومة الجاهلة ودعائم هذه الحكومة تماكي الأب الرحيم
الجاهل فكما انه يحث ابناءه على اقتناء الاموال واكتساب الثروة
واستحصال السعادة والاقتصاد فى المعيشة بدون ان يبين طريقا ويمهد لهم
سبلها امدم علمه بها . ويدعوهم رافة الى المجاملة والموادعة ورفع الشقاق
والنزاع من بينهم بنير ان يحدد لهم الواجبات ويقدر الحدود اللازمة
للادارة المنزلية لتصور ادراكه عنها فكأنه يدعوهم الى امر مجهول مطلق
لا يهتدون اليه سبيلا

كذلك حال هؤلاء الدعائم الرجاء الجهلاء يطلبون من رعاياهم السبي
فى المكاسب والصنائع والتمسك بالتجارة والفلاحة والتشبث بالعلوم
والمعارف وينرونهم على مجاراة الجيران ومباراة اهل المرفان والتعلق

باسباب النجاح والفلاح بلا تشييد المدارس المفيدة وتأسيس المكاتب النافعة وتسهيل طرق المعاملات وبث فنون الزراعة جهلاً منهم ويريدون من اولئك الرعايا التباعد عن الشقاق والنفاق والاحتراز عن الاعتداء والاعتصاب والتجنب عن الفساد والمناذ والخياف والميل في الحقوق والاحتراس عن كل ما يخل بالراحة العمومية بلا تقنين ناموس عادل حافظ للحقوق معين للحدود فاصل للقضايا قاطع لما يطرأ من النوازل جامع لجميع ما يحتاج اليه الانسان في اجتماعاته المدنية . ومن افراد هذه الحكومة سلطنة بعض السلاطين المجهولين على الشفقة المطبوعين على الرأفة الذين كانوا يكونون على سوء احوال رعيتهم مع جولهم بما يصلح شأنها والسيد بذلك ناطقة

القسم الثاني منها الحكومة العالة وهي تنقسم الى قسمين . القسم الاول الحكومة الأئينة وأقانيها تضاهي الاب العالم المأفون فكما ان شفقة هذا الاب تسوقه الى العناية باحوال ابناءه وتقصره عليها وان علمه باسباب الترف والثروة وعلل المعيشة المهنيشة المرضية يقوده الى الاهتمام بتأديتهم باحسن الآداب وتمليهم الفنون وتعميرهم على الحرف ويجهره على ان يبين لهم قوانين المشرة ويحدد لهم حقوقهم ولكن بعد ذلك يتركهم وشأنهم لضعف رأيه وقصر نظره وجهله بأن ملازمة الشبان للآداب واجتنابهم ثمار معارفهم التي اكتسبوها واجتهادهم في المكاسب لا تكون الا بقوة حافظة مالم تمنكهم التجارب لما جبلوا عليه من الميل الى الشهوات والانمكاف على البطالة والتقاعد عن الفضائل فيهوون في هاوية التماسه وتذهب مساعيه سدى

كذلك هؤلاء الاقائيم يعمرّون بيوت العلم ويشيدون دور المعارف وينشئون المعامل ويوسعون نطاق التجارة ويواظبون على تشريع سياسة مدنية تهيئةً للحقوق واستتباباً للراحة على مقتضى ما احاطوا به من احوال رعاياهم ولكنهم لعدم تدبرهم في العواقب وعدم تبصرهم بأن افتقار انتظام احوال المباد وسير امورهم على نهج العدل ونيلهم غاية بغيتهم من مساعيتهم الى العلة المبقية كافتقارهم الى العلة الموجودة لا يواظبون على اعمالهم هذه ولا ينظرون اليها نظرة ثانية بل يبنذونها ظهرياً ويتركونها نسياناً منسياً فيتطرق اليها الخلل ويعتريها الفساد ويسرى اليها الانحلال لما جبل عليه الانسان من الحرص والشرة والميل الى الجور والاعتداء المستلزمة لمخالفة القانون فيقع كل في المطب والنصب والشقاء والعناء ويستولى عليهم الفقر والفاقة ويصيرون كارض موظوبة^(١) بتوالى تطاول ايدي جايرهم وتعاقب اعتساف معتديهم ويشبه ان تكون حكومة المأمون وبمض سلاجقة ايران من افراد هذا القسم

القسم الثاني الحكومة المتنطسة واساطينها الحكماء تضارع الأب المتدبر المتبصر الذي لا يبرح ساعياً في اعداد الاسباب الموجبة لسعادة ابنائه زمن حياتهم وتهيئة معداتها القريبة والبعيدة ولا يتجافى آناً ما عن مواظبة دقائق حركاتهم وسكناتهم وتفقد شونهم واستكناه احوالهم ولا يتقاعد لحظة عن تأييدهم في سيرهم بأرائه السديدة وافكاره الصائبة خوفاً من التواني والكسل والاهمال والفشل وخشية من عروض الموانع التي تصدهم عن البلوغ للغاية

(٢) هي التي رعيت صراراً حتى لم يبق فيها كلاً ولا نبات

فنجده هؤلاء الحكماء الاساطين يعلمون ان قوام المملكة وحياة الرعايا بالزراعة والصناعة والتجارة ويعرفون ان كمال هذه الامور واقفانها لا يكونان الا باصرين احدهما وهو في الواقع علمها الاولى العلوم الحقيقية النافعة والفنون المفيدة التي لا يمكن حصولها والفوز بها الا بمدارس منتظمة ومدرسين ماهرين ومخلفين باخلاق فاضلة شفوقين على المتعلمين شفقتهم على ابناءهم . وثانيهما اعداد آلات الزراعة وادوات الصناعة وتسهيل طرق التجارة البرية والبحرية . ويفقهون ان حفظ اساس المدنية وصون نظام المعاملات وفصل المنازعات وكف ايدي المتعدين ومنع المدلسين وكبح الاشرار وردع الفجار لا يكون الا بالمحاكم الشرعية والسياسية المؤسسة على دعائم العدل والانصاف وانها لا تحقق الا بقانون حق لا ينادر صغيرة ولا كبيرة - حتى ارش الخدش - الا محفوظاً بأمناء يقظين محروساً ببدول نشطين محفوظاً بسلامة فقهين مُعزّزا بقضاة مقسطين مؤيدين بحكام اعفاء واعوان بررة . ويدركون بصيرتهم الوفاة مصالح البلاد . ومناهج تمير البلاد . ووسائل درء المفساد الداخلية . وطرق منع النوازل الخارجية . وان القيام بذلك لا يكون الا بضرب ضرائب عادلة عليهم مجتمعا حياة تدول تصرف في منافعهم العامة لدى الضرورة بلا حيف وميل وانتخاب طائفة من ابطالهم الموصوفين بالصداقة وعزرة النفس وعلو الهمة لحفظ الامنية الداخلية ودفع الاعداء الخارجية . ويشعرون بان استكمال سعادة المملكة وصيانة استقلالها لا يكونان الا بارتباطاتها السياسية وعلاقتها التجارية مع الممالك الاخرى وانها لا تتم الا برجال عارفين دهاة متبحرين محيين لاوطانهم (لا كحسن افندي فهمي شيخ الاسلام الأسبق

في الامتانة الذي كان يقول لمدو وطنه الجنرال اغنايف سفير الروسية فيها انك عيني العيني وان حيدر ابي عيني اليسرى كما ذكره حضرة مدحت افندي في كتابه المسمى بأس الانقلاب متدرين محنكين بالسياسة عالمين بالحوادث قبل ظهورها محيطين بطرق التجارة فيقومون بواجبات ما اقتضته حكمتهم وما احاطوا به علماً ولا يتهاونون آناً عن اداء حقوق وعيائهم ولا يفتدون راحة انفسهم بسعادة اولئك الضملاء . وزد على ذلك انهم يدرون ان غالب افراد الانسان طبع على الحرص وفطر على الشر وجبل على الشهوة وخلق متهاوناً بواجباته متوانياً عن اصلاح شؤنه ونشأ على المكر والحيل وخرز فيه حب الاعتداء على حقوق الغير وعدم الاكتفاء بما ملكته يده وخرس فيه بنقض الشرائع والقوانين حينما يراها سداً يمنعه من سلوك سبيل الخير وحاجزاً يردعه عن مقتضيات الشره وغلاً يكف يديه عن التناول . وانهم يفهمون ان كل ما يقع في العالم الانساني من المرض والصحة والفقر والغنى والنصب والراحة . بل كل ما يقتضى الشقاء والسعادة ويوجب الصلاح والفساد لا بد وان يكون لارادة الانسان وحركاته الاختيارية فيه دخل تام . ويدركون ان الانسان ما دام على هذه السجية والفرية فهو كريض تنازعه امراض خطيرة مختلفة لا ينجو منها الا بتمريض طيب ماهر يعرف الطل والملاج ويتفقه آناء الليل واطراف النهار فيهتمون بحكمة وشفقة بتبع احوال الرعايا مثل ذلك الطبيب الماهر ولا يبرحون عن موازنة اعمالهم وافعالهم وحركاتهم ولا يتفكرون عن مقايسة آرائهم واخلاقهم ولا يفترون عن تعديل ثروتهم وغنائمهم وتقويم علومهم ومعارفهم وتجارتهم وزراعتهم واحصاء عددهم وتعداد احياهم

وامواتهم ولا يتوانون عن مقابلة الصادر والوارد في ممالكهم والمعادلة بين قوة حكومتهم واقتدارها واقتدار الغير وقوته لكي يقتدروا على تدارك مصالح البلاد قبل تمكن الفساد ويقتدروا على جبر الكسر وسد الثغر ورفو الحرق وازالة جرائم الرزايا والمصائب وابادة اسباب الخلل والمصاعب واذا لم يمكنهم القيام باستقصاء دقائق التعديل والتقويم وجزئيات الموازنة والمقايسة مباشرة انتخبورجالا يقظين عارفين بأحوال الدول وقواها متبصرين بشؤون الممالك واسباب سعادتها وشقاؤها عالين بفنون التجارة والزراعة والصناعة ولوازمها مهندسين محاسبين لأداء هذه المصالح وتسجيلها في السجلات بغاية الدقة والاتقان وعرض كلياتها على هؤلاء الولاة الحكماء مع بيان موارد النقص والخلل وايضاح اسبابها . وغير خاف ان تسجيل المعادلات وحفظ الموازنات للدول أزم من تقييد التاجر معاملاته في دفاتره اليومية فانه لا يلزم من اهماله في التقييد والتثبيت الا ان يضع رأس ماله على جهل منه ويصبح مفلساً وهذا ضرر خاص به . وأما اهمال الدول في حفظ المعاملات وتسجيل الموازنات فيوجب خراب البلاد وهلاك العباد ومن اجل هذا تجدد للدول الغربية عناية تامة بهذا الشأن السعي عندهم بالاستاتستيك

فهاك يا أيها الانسان الشرقي صاحب الامر والنهي حكومة رحيمة
 حكيمة وعليك بها والقيام بشأنها وحفظ واجباتها والا فبجياتك التي افديتها
 براحة العالم ان تعفونا عن تحمل ثقل تشدقك بالرحمة والمعدالة والحكمة
 والنفطنة . اريد ان نظلنا ونكافئك بالشكر ؛ وتعصب حقوقنا ونجاريك
 بالثناء ؛ او تظن انك تقدر ان تقرأ كل العالم وتعمى بصائرهم ؛ وان تنزل

باطلك عندم منزلة الحق؟ وان تجلس جورك مجلس العدل؟ وان تقيم
سيئاتك مقام الحسنات؟ وان تقدر ذائلك مقعد الفضائل؟ ولعلك اغتررت
بتجديد وتمظيم المبصصين وتجميل المتزلفين أمامك

ولو كنت تعلم مقامك في النفوس . ومنزلاتك لدى ارباب البصائر
والمقول لودعت هذه الدنيا الخون التي ألتك وفارقت حياتك العزيزة
التي طالما افتديتها بالمرؤة والانسانية

وأما اتم بالبناء الشرق فلا اخاطبكم ولا اذكركم بواجباتكم فانكم قد
أنتم الذل والمسكنة والمعيشة الدنيئة واستبدتم القوة بالتأسف والتلف
صرتم كالعجائز علي تقدرون على الدر، والاقدام والجل فمع والمنع والرفع
فانا لله وانا اليه راجعون :

هـ نقلًا عن العدد ٣٣ من جريدة مصر التي صدرت في الاسكندرية

في ٢٢ صفر سنة ١٢٩٦

باب التوسل والتعلم

﴿ الباب الثاني (الولد) من كتاب اميل القرن التاسع عشر ﴾

(١٨) من اراسم الي هيلانة في ١١ يونيه سنة - ١٨٥
قد يسأل سائل هل التفكير مما يتعلمه الطفل؟ فاجيبه اني اعتقد ذلك
غير انه ينبغي التمييز التام بين ما يتلقاه عن غيره من الافكار وبين ما يستنتجه
هو منها بنظاره الي الاشياء . ونحن في تخاطبنا معه لا نفعل شيئاً سوى